العلاقة بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية١٧٠هـ-٢٣٢هـ

في عهد الخليفة هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ فقد اهتم الخليفة بالحدود الاسلامية المطلة على الدولة البيزنطية وكانت هذه الحملات التي قادها هو او التي امر بشنها عليهم مجرد حملات غير منظمة ولا تتبع خطة منظمة للفتح لان الرشيد كان يكتفي بأخذ الجزية اثر كل انتصار ، ويبدوا ان الرشيد قد ادرك صعوبة المنطقة الطبيعية ، وعدم استطاعة الجند البقاء في بلاد الروم عند حلول فصل الشتاء حيث الثلوج والامطار فكان يكتفي بهذه الحملات لكي يشعر البيزنطيين بقوة الدولة الاسلامية وانها غير غافلة عن تحركاتهم .

وقد اهتم الخليفة بتنظيم ادارة المنطقة الحدودية مع البيزنطيين ، اذ امر بفصل منطقة الثغور عن ولاية الجزيرة وقنسرين سنة ١٧٠هـ وجعلها منطقة واحدة سماها العواصم ، ونظمت الدولة خطين لغرض الدفاع عن حدودها مع البيزنطيين الاول هو الثغور والى جنوبها الخط الدفاعي الثاني الذي يعرف بالعواصم ، وقد سميت بهذا الاسم لان المسلمين يعتصمون بها من الثغور في حالة مهاجمتها فتعصمهم .

كما قسم الرشيد هذه المنطقة ثلاثة اقسام هي :-

١- المنطقة الشرقية :- تشمل على حصون قاليقلا وكمخ وقلودية .

٢- المنطقة الوسطى :- تشمل على حصون الحدث وزبطره وملطيه .

٣- المنطقة الغربية :- تشمل على حصون المصيصة وطرسوس وادنه .

وكان الخط الفاصل بين الثغور والعواصم هو خط منبج الى انطاكية فما كان شمال هذا الخط فهو من الثغور وما يقع الى جنوبه فهو من العواصم اما مركز العواصم فهو مدينة منبج .

وزاد الرشيد في تحصين الجبهة البيزنطية ببناء حصون اخرى ، وترميم الحصون القديمة ، فقد بنى كفريبا بجوار المصيصة وبنى حصن عين زربه وشحنها بالرجال

واعاد بناء حصن الكنيسة السوداء وبنى مدينة الحدث وبنى حصن زبطره وعمر طرسوس وشحنها بعدد كبير من المقاتلين .

كما اهتم الرشيد بالأسطول واضاف اليه قطعاً بحرية اخرى للرد على تحرشات البيزنطي ففي سنة ١٧٤هـ هاجم الاسطول البيزنطي السواحل الاسلامية واسر بعض الجنود في البحر المتوسط فتحرك الاسطول الاسلامي من مصر الى قبرص ثم اتجه الى اسيا الصغرى والتحم مع الاسطول البيزنطي واسر امير البحر البيزنطي وهذا يدل بطبيعة الحال على قوة الاسطول الاسلامي ، حيث انه هاجم البيزنطيين في عقر دارهم واسر اميرهم .

اما عن الحملات البرية فقد وجه الرشيد عدة حملات كان يتولى قيادة بعضها بنفسه كما في سنة ١٧٠هـ وقاد حملة اخرى بنفسه سنة ١٨١هـ قاد حملة عسكرية قاصداً بلاد الروم فتقدم قسطنطين السادس ضده لكنه كما يبدوا رجع الى القسطنطينية حيث خلع واصبحت امه ايريني امبراطوره فاستطاع الرشيد ان يفتح حصن الصفصاف ، وقد رفض الخليفة الرشيد طلب ايريني لعقد الهدنة في اول الامر لان البيزنطيين يطلبون عقد الهدنة وعندما يعود المسلمون الى بلادهم ينقضون الهدنة ، ثم وافق الرشيد بعد ذلك على عقد هدنة ، وليدلل الرشيد على اهمية هذه الحملات ولإظهار سطوة الدولة العباسية عين الرشيد سنة ١٨٦هـ ابنه القاسم بولاية العهد بعد اخويه الامين والمأمون وسماه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم واشخصه الى منبج فانزله اياها .

ثم حدثت بعض التطورات داخل الدولة البيزنطية مما انعكس اثره على العلاقات بين الدولتين فعني سنة ١٨٧هـ خلع نقفور ايريني عن العرش وعند اعتلائه العرش قطع نقفور الجزية ونقض الصلح .

وسار الرشيد على راس جيش كبير واحتل حصن الصفصاف ودبسه واستولت مقدمة الجيش على انقره وتقدم نحو نقفور الا انه اندحر واخذ بمفاوضة الرشيد الى تجديد الصلح فقبل الخليفة هارون الصلح بشرط ان لايبني نقفور الحصون المهدمة ثم رجع الرشيد وبرجوعه استغل نقفور شدة البرد وكثرة الثلوج فنقض الصلح فعاد اليه الرشيد الكرة مرة اخرى سنة ١٨٩هـ واستطاع ان يجبر نقفور على طلب الصلح ومبادلته

جميع اسرى المسلمين . واثناء انشغال الرشيد بأحداث خراسان استغل نقفور الوضع لصالحه فخالف بنود الصلح وبنى انقره ودبسه والصفصاف واحتل طرسوس وضرب عين زربه ولكن حامية المصيصة العربية هاجمته واستطاعت ان تستعيد معظم الاسرى والغنائم من يديه .

ثم توجه الرشيد سنة ١٩٠هـ الى بلاد الروم على راس جيش كبير واستطاع ان يفتح هرقلة بعد حصار دام شهر وفتح بعض الحصون مثل الطوانه ودبسه وذي الكلاع فاضطر نقفور الى طلب الصلح فقبل الخليفة الرشيد التفاوض على شرط ان يدفع جزية سنوية مقدارها ٣٠٠.٠٠٠ دينار سنوياً ويعمر بعض القلاع التي هدمت وتعتبر هذه الحملة اقصى ما وصلت اليه الجيوش العباسية في ارض الروم على ان كل هذه المعارك لم تكن تستهدف توسيع رقعة الدولة الاسلامية او اقامة ادارة دائمة في الاناضول بل سرعان ما كان الجيش العباسي يعود الى قواعده في مناطق الثغور والعواصم .

وفي عهد الخليفة عبد الله المأمون ١٩٨هـ – ٢١٨هـ استمرت العلاقات الحربية بين الطرفين ، وقد سار المأمون على خطة والده الرشيد في الاهتمام بالثغور والعواصم وضرورة شحنها بالجند والميرة ، ويبدو ان فكرة او خطة هجومية كانت تجول في ذهن الخليفة المأمون وصولاً الى القسطنطينية او على اقل تقدير تبعد البيزنطيين عن الحدود الشمالية للدولة العربية الاسلامية وبذلك تتخلص الدولة الاسلامية من تعديات البيزنطيين المستمرة ، وتأييدهم لحركات العصيان والتمرد التي كانت تحدث في ارمينية واذربيجان .

وقد استغل المأمون بعض الخلافات والاضطرابات الداخلية في دولة الروم فساعد توماس الصقلبي في حركته ، وامده بالمساعدات المتنوعة ، ولكن حركة توماس فشلت وتأتي حركة المأمون هذه للرد على المساعدات التي قدمها الامبراطور البيزنطي لحركة بابك الخرمي ، كما جعل من بلاد الروم ملجأ للخرمية من اتباع بابك .

واثناء انشغال المأمون بأحداث مصر ، استغل البيزنطيون الفرصة سنة ٢١٥هـ فهاجموا طرسوس والمصيصة وقتلوا العديد من المسلمين فتوجه اليهم الخليفة المأمون

وقاد الصائفة ضدهم فتوغل في ارضهم واحتل هرقلة القريبة من عمورية وافتتح عدة مطامير (نقاط محصنة) فارسل الامبراطور تيوفيل بن ميخائيل رسالة الى المأمون يطلب فيها الصلح وعقد الهدنة على وفق الشروط الاتية :

١- عقد هدنة لمدة خمس سنوات .

٢- الانسحاب من الحصون التي احتلتها المسلمون .

٣- التعهد بدفع جزية سنوية للمسلمين مقدارها ١٠٠ الف دينار .

٤- اعادة جميع الاسرى المسلمين وعددهم ٧ الاف اسير .

لكن الخليفة المأمون رفض شروط الصلح واستمر في القتال في السنة التالية ففتح حصن لؤلؤه وبنى حصن الطونة ، وجعل سورها على ثلاثة فراسخ ويبدوا ان المأمون قد رفض عرض الامبراطور البيزنطي لان البيزنطيين عندما يتقدم صوبهم الجيش الاسلامي يطلبون الصلح ، وعند انسحاب الجيش الاسلامي ينقضونه فضلاً عن استغلال الاوضاع الداخلية التي تحدث مع الدولة الاسلامية لكثرة المعاهدات التي ابرمها المسلمون الدولة البيزنطية التي كانت دائماً تنقض من البيزنطيين .

اما عن العلاقة مع الدولة البيزنطية في عهد المعتصم ٢١٨-٢٢٧هـ فقد سار المعتصم على سياسة اخيه المأمون ووصيته في مواجهة البيزنطيين والاهتمام بالثغور والعواصم وذكره ان الخرمية حلفاء الروم يجب القضاء عليهم بكل ما تملك الدولة من امكانيات .

وكان المعتصم رجل حرب وقائد عسكرياً من الطراز الاول ولذلك كان من الطبيعي ان يشهد عهده زخماً جديداً في الحرب العباسية – البيزنطية فقد شدد البيزنطيون في هجماتهم بالتعاون مع بابك الخرمي على العواصم والثغور العباسية وكانت قمة نشاطاتهم في هذا الاتجاه هو احتلالهم زبطرة وابادت المئات من سكانها فكانت مذبحة رهيبة واغار على حصون المسلمين .

وعندما بلغ الخبر الى المعتصم استعظم وكبر لديه وصاح في قصره النفير وجمع العساكر ووجهم الى بلاد الروم ثم لحق بهم وقد تجهز الخليفة جهازاً لم يتجهز خليفة قبله قط من السلاح والعدد والالة ، وبعد ان استطاعت الجيوش العباسية احتلال انقره تحركت نحو عمورية وهي اهم مدن الروم فحاصرتها حصاراً شديداً حتى

استطاعوا النفوذ من ثغرة ضعيفة في السور وفتحت عمورية ووصلت اخبار الفتح المبين الى الافاق شرقاً وغربا ثم امر المعتصم بحرق مدينة عمورية وهدم سورها انتقاماً لما فعله امبراطور الروم بمدن المسلمين .

وقد كانت غنائم المسلمين في هذه الحملة كثيرة جداً وكان ينادي على الغنائم بالمزاد ولا ينادي على الشيء اكثر من ثلاث مرات كما كان ينادى على الرقيق خمسة وعشرة عشرة طلباً للسرعة .

اما عن العلاقة في عهد الواثق ٢٢٧-٢٣٢هـ فقد قدم وفد بيزنطي يطلب الفداء في سنة ٢٣٠هـ وقد وافق الواثق بالله على طلب البيزنطيين وعقد الواثق لأحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهي على الثغور والعواصم وامره بحضور الفداء مع خاقان الخادم .

وفي العاشر من محرم سنة ٢٣١هـ اجتمع المسلمون ومن معهم من الاسرى على ضفاف نهر البدندوب واتت الروم ومن معهم من الاسرى وكان النهر بين الاثنين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلقون الروم الاسير من المسلمين فيلتقيان في النهر فاذا وصل الاسير من المسلمين كبر المسلمون واذا وصل الاسير من الروم صاحوا حتى فرغوا من الاسرى وقد افتدى المسلمين حوالي خمسة الاف اسير .

وبعد انتهاء الفداء غزا الشاتية احمد بن سعيد بن مسلم فأصابهم ثلج ومطر فمات نحو مائتا نفس واسر نحوهم وغرق منهم في نهر البدندون وهجم احمد بن سعيد على الروم فغنم منهم غنائم كبيرة .

المصادر والمراجع

١-ابن الاثير ، الكامل في التاريخ

٢-ابن كثير ، البداية والنهاية

٣-الطبري ، تاريخ الرسل والملوك

٤-ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك

٥-ابن خلكان ، وفيات الاعيان

٦-اليعقوبي ن تاريخ اليعقوبي
٧-ابن خياط ، تاريخ خليفه بن خياط
٨-ابن قتيبة ، عيون الاخبار
٩-ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر
١٠-ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني
١١-حاجي خليفه، كشف الظنون في معرفة الاسامي والفنون
١٢-الذهبي ، تاريخ الاسلام
١٣-السيوطي ، تاريخ الخلفاء
١٤-المسعودي ، مروج الذهبي
١٥-المقريزي ،كتاب السلوك
١٦-القلقشندي، صبح الاعشى
١٧-ولهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها
١٨-ادم متز ، الحضارة الاسلامية
١٩-شاكر مصطفى التاريخ العباسي
٢٠-فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية
٢١-بارتولد، تاريخ الحضارة الاسلامية
٢٢-بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية
٢٣-حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام
٢٤- البغدادي ، تاريخ بغداد
٢٥-عبد العزيز الدوري ،العصر العباسي الاول